الموسوعة القرآنية (Corpus Coranicum) من الفيلولوجيا إلى التحليل الأدبي قراءة نقدية في قاعدة البيانات

سامر رشواني

أستاذ وباحث في مركز الدراسات الإسلامية بجامعة توبنغن – ألمانيا

ملخص البحث: في عام ٢٠٠٧ أطلقت أكاديمية برلين-براندنْبرُج للعلوم (Berlin-Brandenburgische Akademie der Wissenschaften) مشروع الموسوعة القرآنية أو (Corpus Coranicum). وقد أعقب انطلاق هذا المشروع قراءات مختلفة لأهدافه وسياقه الزماني. إذ تلقَّاه البعض باعتباره فتحًا علميًّا منتظرًا سينتهي بالخروج بنسخة نقدية للقرآن، الأمر الذي سيثير حفيظة المسلمين ويغذي غضبهم تجاه الغرب. بينما لم يرَ فيه آخرون جِدةً أو أصالةً على مستوى المنهج والرؤية، اللهم إلا شمولَ العمل وسعةَ مراميه. يقدم المشروع كشّافًا مُرقمَنًا للدرس الغربي للقرآن ولغته، بدءًا من فيلولوجيات القرن التاسع عشر، مرورًا بمناهج النقد النصي والكتابي، وانتهاء بنظريات التحليل الأدبي؛ ويسعى بالتعاون مع مجموعات بحثية متعددة إلى ربط الدرس القرآني بحقول معرفية عديدة، مثل: الحفريات التاريخية، ودراسات النقوش والمخطوطات القديمة وخرائط الأنساب والقبائل في الجزيرة العربية.

ترمي هذه الدراسة إلى تقديم مراجعة نقدية لبعض جوانب المشروع، وخصوصًا ما يتصل بالجانب التوثيقي منه، ومناقشة بعض العناصر المنهجية والأسس المعرفية التي يستند إليها. وتخلص إلى أن المادة التي تقدمها الموسوعة في قاعدة بياناتها الرقمية لا تصلح أساسًا لنقدٍ نصيٍّ يكشف التشكلَ التاريخي لنص القرآن وقراءاته، وذلك لخلل منهجي وإجرائي في التعامل مع المصادر التاريخية. كما تبين الدراسةُ الإشكاليات المنهجية والتأويلية التي تقوم عليها عملية جمع النصوص الدينية والثقافية القديمة وربطها بالنص القرآني، وأن هذه على فائدتها في إثراء فهمنا للمحيط الثقافي والتاريخي للقرآن، إلا أنها لا بدّ أن تكون واعية بقيودها المتمثلة بحاجز الترجمة، والتأويل المزدوج (القرآن والنص الموازي).

الكلمات المفتاحية: القرآن، النقد التاريخي، النقد النصي، الموسوعة القرآنية الألمانية، قراءات القرآن، التأويل

Corpus Coranicum from Philology to Literary Analysis: Critical Vision

Samer Rashwani

Research Fellow, Center for Islamic Theology, University of Tubingen

srashwani@hotmail.com

Abstract: Corpus Coranicum is a research project launched in 2007 by the Berlin-Brandenburg Academy of Sciences and Humanities. This project has been the subject of different interpretations with respect to its objectives and context. While certain involved parties have envisioned a scientific breakthrough that will end with a critical edition of the Quran, and ergo aggravate Muslim antagonism toward the West, other scholars have not perceived any breakthrough or originality either in approach or vision. This project seems to be a type of digital treasury of the Western contribution to Quranic studies since the 19th century. It amalgamates classical philological investigations, material history studies (i.e., inscriptions, paleography, genealogy) and modern literary analysis.

By evaluating parts of its published data, this paper aims to scrutinize the method, the epistemological premises and the rigorousness of this digital corpus. Regretfully, the results of this examination reveal that the database of the Quranic variants is so faulty that no reliable historical critical analysis can based on it. The process of collecting the textual material of the religious and cultural milieu of the Quran does not attend to hermeneutical questions, translation problems or double interpretation (i.e., the Quranic text and its parallel sub-text).

Keywords: Quran; Corpus Coranicum; Historical critical analysis; Hermeneutics; Quranic variances

للاقتباس: رشواني س.، "الموسوعة القرآنية (Corpus Coranicum) من الفيلولوجيا إلى التحليل الأدبي قراءة نقدية في قاعدة البيانات"، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد ٣٨، العدد الأول

https://doi.org/10.29117/jcsis.2020.0256

© 2020، رشواني، الجهة المرخص لها: دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية بواسطة الوصول الحر ووفقًا لشروط Creative Commons Attribution license CC BY 4.0. هذه الرخصة تتيح حرية إعادة التوزيع، التعديل، التغيير، والاشتقاق من العمل، سواء أكان لأغراض تجارية أو غير تجارية، طالما ينسب العمل الأصلي للمؤلفين.

الموســوعة القرآنية أو (Corpus Coranicum) هو الاســم الذي أطلق على المشروع الــذي ترعاه أكاديمية برلين-براندنْبُرج للعلوم (Berlin-Brandenburgische Akademie der Wissenschaften) منذ٢٠٠٧ . يندرج هذا المشروع في إطار المشــاريع الموسوعية الخاصة بتراث العالم القديم وعالم العصور الوســطى، من مثل موسوعة النقوش اللاتينية واليونانية، أو معجم اللغات المصرية القديمة[١]. وتعد أنجليكا نويفرت، الأستاذة في معهد الدراسات العربية والسامية في جامعــة برلين الحرة، الأبَّ الروحي للمشروع والمشرف العلمي عليه، أما إدارته فيتولاها تلميذها ميخائيل ماركس. وقد حظي المشروع بتمويل يمتد حتى عام ٢٠٢٥ [٢].

وقد أعقب انطلاقَ هذا المشروع قراءاتٌ مختلفة لأهدافه وســياقه الزماني وطبيعة ما سينجزه؛ فالبعض تلقَّاه باعتباره فتحًا علميًّا منتظرًا ســينتهي إلى الخروج بنسخة نقدية للقرآن، وهي أُولى الخُطى على طريق إصلاح الإسلام؛ الأمر الذي لا بد أنه ســيثير حفيظة المسلمين ويُلهب غضبهم تجاه الغرب[٣]، وبعضٌ آخر لم ير فيه جِدّةً أو أصالةً على مستوى المنهج والرؤية، اللهم إلا شــمولَ العمل وسعة مراميه[٤]. وقد دفع هذا الجدل القائمين على المشروع إلى القيام بجولات عديدة في البلدان الإسلامية؛ لغرض بيان غايات المشروع وأهدافه، وأنه لا يرمي بحالٍ إلى إخراج نسخة جديدة من المصحف، كــما زعم بعض الصُحفيين، وأن المشروع وإن كان ينطلق من مقاربةٍ تعتمــد النقد التاريخي، إلا أنه لا يختلف من حيث الجوهر عن مقاربات مشابهة في التراث الإسلامي، مثل البحث في أسباب النزول والقراءات ونحوها[٥].

ترمــي هذه المقالة إلى تقديم مراجعة نقدية لبعض جوانب المــشروع[٦]، وخصوصًا ما يتصل بالجانب التوثيقي منه، ومناقشــةِ بعض العناصر المنهجية والأسس المعرفية التي يستند إليها، وذلك من خلال تقييم بعض النماذج المنجَزة منه، والنظر في مدى إسهامها في تعميق معرفتنا بالنص القرآني ومحيطه التاريخي وفهمنا له.

وقبل الشروع فيما أريده أودُّ أن أروي قصةً ذات مغزىً فيما يخص النقد الإســلامي لدراسات المستشرقين للإسلام، وقد ذكرها دانييل بويارن في كتابه "الحدود". وذاك أنه اعتاد رجلٌ أن يعبر الحدود من المكســيك إلى أمريكا بعربةٍ ملؤها رملٌ يدفعها بيديه، وفي كلِّ مرةٍ يحاول حارس الحدود الأمريكي التنقيب في الرمل بحثًا عما قد يُخفيه الرجل ولكنه لا يجد

(١) للتعرف على هذه المشاريع ومنجزاتها انظر:
Zentrum Grundlagenforschung Alte Welt, "Alte Welt — Berlin-Brandenburgische Akademie der Wissenschaften," http://www.bbaw.de/forschung/zentren/alte_welt (accessed 24 December 2019).

(٢) لتعريف أوفى بالمشروع انظر: طارق القط، هل يعد القرآن جزءًا من العصور القديمة المتأخرة لأوروبا؟ قراءة في الاستشراق الألماني، **مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية**، ٢٠١٨، المجلد ٣٥، العدد ٢، جامعة قطر، ١٠١-١٣٤. (doi.org/10.29117/jcsis.2018.0187)

(3) Frank Schirrmacher, "Bücher können Berge versetzen," *Frankfurter Allgemeine Zeitung*, 10 October 2007 (https://www.faz.net/-gr0-vzuw).

(4) Oliver Leaman, "The Corpus Coranicum Project and the Issue of Novelty," *Journal of Qur'anic Studies* 15 (2013): 142-48 (doi: 10.3366/jqs.2013.0100).

(5) Michael Marx, Angelika Neuwirth and Nicolai Sinai, "Koran, aber in Kontext — Eine Replik" (The Qur'an, but in context — a reply), *Frankfurter Allgemeine Zeitung*, 6 November 2007.

(٦) إن الحقول التي أصبح مشروع الموسوعة يشتغل بها أصبحت من الاتساع بحيث لا يمكن تناولها ودرسها في مقالة واحدة، بل تحتاج لدراسات عديدة، فهناك مشروع فرعي مختص بدراسة المفردات القرآنية وعلاقتها بأخواتها في اللغات السامية (glossarium coranicum)، وآخر مختص بدراسات الجغرافيا الثقافية للجزيرة العربية قبل الإسلام (tabula arabicae antiquae) ويستهدف وضع خريطة للأنساب والقبائل، واللهجات والأديان. انظر:
"glossarium coranicum — Coranica," http://www.coranica.de/glossarium-coranicum-de (accessed 24 December 2019); "tabula arabicae antiquae — Coranica," http://www.coranica.de/tabula-arabicae-antiquae-de (accessed 24 December 2019).

شيئًا، فيسمح للرجل بالعبور. وبعد سنين طويلة وحين شارف الحارس على التقاعد، قال للرجل: هناك سؤال يحيّرني وأودُّ لو عرفت إجابته قبل أن أغادر عملي: ما الذي كنت تُخفيه في عربة الرمل طوال السنين الماضية؟ فأجاب الرجل بهدوء: لقد كنت أُهرِّب العربات نفسها[1].

عادة ما يكون مطلوبًا من المسلمين، وبخاصة في الأدبيات التي تُخصص للردِّ على شبهات المستشرقين، أن يعملوا كحراس حدود مهمتهم استخراج العفريت الكامن في نصوص المستشرقين، أو السم المخلوط بالعسل في خطابهم. وعلى الضفة الأخرى من الحدود يُنظر إلى ما يقدمه المسلمون جملةً باعتباره خطابًا تقليديًّا يفتقر إلى أصول البحث التاريخي النقدي. ولكننا إذا ما تجاوزنا بعض المفاهيم المضلِّلة، وعلَّقنا بعضَ الأفكار المتخيَّلَة عن الهوية والحدود، وانشغلنا بالنظر والجدل حول القضايا المنهجية والأنماط والنماذج التفسيرية المعتمدة، ثم المنجَزِ العلمي المقدَّم، فإن هذا سيرجع حتمًا بالنفع على العلم والمعرفة والبشر على طرفي الحدود. وعليه فإن هذه القراءة النقدية لا تدخل في إطار أدبيات الرد على المستشرقين، أو جدليات الإسلام والاستشراق/ الغرب، وإنما هي مناقشة تحيل إلى أصول علمية وأسس منهجية مشتركة.

الموسوعة القرآنية

يهدف مشروع الموسوعة القرآنية إلى الوفاء بمطلبين أساسين في البحث القرآني: أولهما توثيق النص القرآني من خلال مخطوطاته ونقله الشفاهي (القراءات)، وثانيهما تقديم تفسير مستفيض يضع القرآن في سياق ظهوره التاريخي. ولكنَّ مراجعتي هذه ستقتصر على ما أنجزه هذا المشروع في جزئه التوثيقي فقط، أما ما يخص التفسير فيحتاج إلى دراسة مستقلة؛ لأن التفسير يعتمد جملةً من المقاربات التأويلية والتحليلية المختلفة، ويقوم – بالأساس –على النظر في التراث الأدبي للنص القرآني ومحيطه الثقافي. أما الجزء التوثيقي من المشروع فإنه يركز على التاريخ المادي للقرآن: قراءةً ورسمًا ونحو ذلك. وبعبارة أخرى: إن مشروع التفسير يمكن فصله – إلى حد بعيد – عن الأقسام التوثيقية الأخرى من مشروع الموسوعة القرآنية، ما خلا قاعدة النصوص الثقافية والدينية المحيطة بالقرآن[2]. ويستند الجانب التفسيري من الموسوعة إلى المنهجية التي وضعتها أنجيلكا نويفرت وجرى عليها بعض طلابها، من مثل نيكولاي سيناي؛ وهي منهجية لا تُولي التاريخ المادي أهميةً كبرى، في حين أن القائم على القسم التوثيقي هو ميشيل ماركس. وبهذا نلاحظ أن مشروع الموسوعة يجمع بين أقدم القديم وهو فيلولوجيات القرن التاسع عشر، وأحدث الحديث وهو نظريات التحليل الأدبي من التداولية إلى نظريات التلقي والسرد، كما يتجلى في تفسير نويفرت[3]، وهو تفسير يستحق مراجعة نقدية عميقة، لم تُقدَّم بعدُ حتى في السياق الغربي أو الألماني.

(1) Daniel Boyarin, *Border lines: The partition of Judaeo-Christianity*, Divinations : rereading late ancient religion (Philadelphia, Pa.: University of Pennsylvania Press, 2004), 1.

(٢) بعبارة أخرى: إن قسم التفسير يبدو هامشًا على مشروع الموسوعة، وإن كان فيما أظن المقصود الأصلي لنيوفرت عند وضع اللبنات الأولى للمشروع. ثم إن التفسير قد بدأت نيوفرت بنشره، وقد صدر منه حتى اليوم مجلد منهجي، ومجلدان يضمان تفسيرًا للسور المكية المبكرة والمتوسطة.

(٣) تشير خطة المشروع إلى أن التفسير يهتدي في منهجه بمناهج دراسات الكتاب المقدس، من خلال اعتماد السورة القرآنية كوحدة أساسية للتحليل، يتم الكشف عن التراكيب اللفظية وأنماط الخطاب المتكررة فيها (form criticism)، وعن تحرير السورة وبنيتها (redaction criticism)، ثم تحلل مجموعات الآيات في السورة من أجل تحديد سياق نزولها وتحديد ترتيبها بين السور، وفي النهاية يتم مقارنة النص القرآني مع التراث الثقافي والديني السابق عليه لفهم استراتيجيته الخطابية في توطين المفاهيم أو تحويرها واستبدالها.

١ . التوثيق النقدي للنص القرآني:

يقوم هذا المحور من المشروع - بحسب التوصيف المثبَت على موقعه[١] - على أمرين: استقراء شامل للمخطوطات القرآنية القديمة (والنقوش وغيرها من الوسائط المادية)، والقراءات القرآنية التي حفظتها ووثقتها كتبُ التراث الإسلامي، ثم عرض نتائج هذا التوثيق النصي على نحو مزدوج ومتوازٍ لكلا المصدرين: الشفاهي والكتابي. والهدف من وراء هذا الاستقراء التفصيلي أن يكون أساسًا لنقدٍ نصي يفتقر إليه البحث القرآني، ومقدمةً لإخراج "تعليق نقدي" (Apparatus Criticus) على مصحف حفص عن عاصم المعترف به عند جمهور المسلمين. ويستبعد المشروع مقصدَ الخروج "بنسخة نقدية" (critical edition) أوروبية جديدة[٢]. والتبرير الذي يقدمه المشروع لهذا الاستبعاد هو أن الشواهد المتوفرة حتى يومنا هذا على أصالة القراءات القرآنية لا تصلح أساسًا لبناء "نسخة نقدية"، والمعنيُّ بالأصالة هنا كونها تنتمي إلى النص الأصلي الأول "Urtext".

ولفهم الفرق بين هذين الهدفين، لا بد من توضيحٍ موجزٍ لأمر يتصل بمناهج النقد الكتابي ومدارسه. ففي النقد النصي عمومًا والكتابي خصوصًا هناك مدرستان أساسيتان تختلفان من حيث تصورهما للمقصد من النقد النصي، وإن لم تختلفا من حيث العدة المنهجية والأدوات[٣]: تسعى الأولى منهما إلى تقديم تعليق نقدي على نص "قانوني" دون العبث بمحتوى النص القانوني نفسه، وعادة ما يطلق على التعليق: النص الديبلوماسي "Diplomatic edition". وفي هذا الإطار يندرج مثلًا التعليق النقدي الذي تخرجه الجامعة العبرية على مخطوط حلب لأسفار العهد القديم العبرية[٤]، أو التعليقات الاشتوتغارتية الشهيرة على نسخة لينينغراد[٥]. في حين ترى المدرسة الثانية أنه بالاستناد إلى المعلومات التاريخية والنقد النصي لمختلف الشواهد والأدلة لا بد من إخراج "نسخة نقدية" تكون أقربَ إلى نص المؤلف، أو النسخِ الأقدم له. وعادةً ما يُطلق على هذا المُخْرَج: النص الهجين "Eclectic edition". وفي هذا الإطار تندرج مثلًا النسخة النقدية الهجينة للنص اليوناني للعهد الجديد "Novum Testamentu Graece"، أو نسخة العهد القديم التي تعمل على إنجازها جامعة أكسفورد.

والجدل بين أتباع المدرستين قديم، ففلهاوزن مثلًا كان من أنصار إخراج نص هجين للكتاب المقدس، في حين أن نولدكه انتقده بشدة؛ بحجة أن الدلائل المتوفرة لا تسمح لنا بإخراج نصٍ من هذا القبيل، وأنَّ أيَّ "نسخة نقدية" مقترحة ستكون جديدة تمامًا، ولن تشبه أيَّ نسخة عُرفت في الماضي[٦]. ولا يزال الجدل مستمرًّا حتى يومنا هذا، إلا أن

(1) https://corpuscoranicum.de/about/index ; http://www.bbaw.de/forschung/Coran/projektdarstellung

(٢) وإن كان قد أشار إلى أن مصطلح "النسخة النقدية" كان مثبتًا في الطلب الأصلي المقدَّم للمشروع، قبل أن يعرضوا عنه.

(3) Michael Segal, "Methodological Considerations in the Preparation of an Edition of the Hebrew Bible," in *The text of the Hebrew Bible and its editions*, ed. Andrés Piquer Otero and Pablo A. Torijano (Leiden, Boston: Brill, 2017), 34-55.

(٤) انظر نموذجًا لما نشر منه:

Ezechiel and Mosheh Goshen-Gotshtain, *The Book of Ezekiel*, The Hebrew University Bible 3 (Jerusalem: Hebrew Univ. Magnes Press, 2004).

(5) Kittel R. ed, *Torahnevi im u-Khetuvim - Biblia Hebraica Stuttgartensia*, 4th ed. (Stuttgart: Deutsche Bibelgesellschaft, 1990).

(6) Ronald Hendel, "The Idea of a Critical Edition of the Hebrew Bible: a Genealogy," *Hebrew Bible and Ancient Israel* 3 (2014): 392-423 (DOI: 10.1628/219222714X14260590652109).

النقاشـــات والتطورات المنهجية التي طرأت خلال العقود الأخيرة قد غيرت كثيرًا من التصورات المتعلقة بالنقد النصي فأصبح مُدرِكًا لحدوده، ولم يعد معنيًّا بالكشف عن النص الأصلي كما وضعه المؤلف، بل بتقديم نسخة جيدة تحقق أقصى الاســتفادة من الدلائل المتوفرة لدينا والمــلَكات العلمية التي طوَّرناها، كما يوضح ذلك هيندل في مقدمته على النسخة الهجينة التي يرأس تحريرها[١].

لقد أوضح بيرجشــتراسر، الأب الأصلي لمشروع الموسوعة وواضع خطته سنة ١٩٣٠، منذ البداية أنه لا يدعم فكرة "النســخة الهجينة"؛ لعدم إمكانية معرفة شكل النص القرآني ما قبل مصحف عثمان. ورأى أن ما تتيحه الوثائق المتوفرة إنــما هو إعادة بناء النص العثماني القديم، أي عندما كان نصًّــا خاليًا من النقط والإعجام. وهذا المشروع – برأيه – مفيدٌ لأغراض بحثية بحتة، ولكن لا حاجة ملحَّة لإنجازه. وهو ســيكون ممكنًا فقط إذا ما تم إنجاز المشروع الأكثر ضرورة، وهو إخراج "تعليق نقدي" على النسخة القانونية للمصحف، أي نسخة الملك فؤاد[٢] أو ما يعرف بالمصحف الأميري.

قضى برجْشــتراسر نحبــه في ١٩٣٣ دون أن ينجز مشروعه، وخلفه تلميذه أوتو بْرِتــزل الذي أعاد إحياء المشروع، واقــترح خطة معدَّلة لإنجازه في ١٩٣٤ [٣]. ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية وقضى بْرِتزل قبل أن ينجز المشروع. وبعد الحرب تحوَّلت اهتمامات المستشرقين الألمان عن هذا المشروع جملةً، وانصرفوا إلى دراسة السيرة النبوية والعلاقة بين النبي والقرآن وغير ذلك[٤].

وأما صور المصاحف القديمة (حوالي ١٢٠٠٠ صورة) التي جمعها برجشتراسر فقد أعلن أنها ضاعت خلال الحرب. وفي عام ٢٠٠٣ وبعد وفاة أنطون شْبِتْلر تلميذ بْرِتزل، كُشِفَ عن أنه كان يحتفظ بهذا الأرشيف كل هذه السنين، ومن ثم قُدِّمَ لأكاديمية برلين للعلوم التي جعلته لاحقًا جزءًا من مشروع الموسوعة[٥].

وخلال هذه الفترة التي تمتد أكثر من نصف قرن جرت مياه كثيرة في حقل مناهج النقد الكتابي والدراسات النقدية، ومناهج الدراســات الإســلامية والقرآنية، وتراث المخطوطات الإســلامية المتصلة بالقراءات والمصاحف والتفسير.

(1) idem, "The Oxford Hebrew Bible: Prologue to a New Critical Edition," *Vetus Testamentum* 58 (2008): 324-51 (DOI: 10.1163/156853308X302006).

(2) Gotthelf. Bergsträsser, *Plan einer Apparatus criticus zum Koran* (München: Verl. der Bayerischen Akademie der Wissenschaften, 1930)

وانظر الترحيب الذي لقيه من قبل مؤتمر المستشرقين الألمان الذي عقد في فيننا في ١٩٣٠ بهذا المشروع وترقبه له:

E Bannerth, "Wiener Zeitschrift Für Die Kunde Des Morgenlandes." *Wiener Zeitschrift Für Die Kunde Des Morgenlandes*, vol. 40 (1933) 150.

(3) Otto Pretzl, *Die Fortfhrung des Apparatus Criticus zum Koran* (München: Bayerischen Akademie der Wissenschaften, 1934).

(٤) لمزيد من التفاصيل عن مآلات الدراسات القرآنية في ألمانيا بعد الحرب الثانية، انظر:

Angelika Neuwirth, *Studien zur Komposition der mekkanischen Suren: Die literarische Form des Koran - ein Zeugnis seiner Historizität?*, 2nd ed. (Berlin, New York: De Gruyter, 2007), 1-54.

(5) Michael Marx, "The Koran according to Agfa: Gotthelf Bergsträssers Archiv der Koranhandschriften," *Trajekte* 19 (2009): 25-29; idem, "Europa, Islam und Koran: Zu einigen Elementen der gegenwärtigen gesellschaftlichen Debatte," in *Gehört der Islam zu Deutschland? Fakten und Analysen zu einem Meinungsstreit*, ed. Klaus Spenlen, Vortragsreihe der IIK-Abendakademie 2 (Düsseldorf: Düsseldorf University Press (dup), 2013), 61-98.

وقد استغل بعد الصحفيين هذه القصة وأضفى عليها أبعادًا درامية، وربطها بسياق الحرب على الإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، انظر:

Andrew Higgins, "The lost archive: Missing for a half century, a cache of photos spurs sensitive research on Islam's holy text", *Wall Street Journal* (12.01.2008).

فالعديد من كتب التراث الإسلامي ذات الصلة بالقرآن: قراءاتِه وتفسيره، قد نُشرت في العقود الأخيرة، ولكنها لم تخضع لتقييم علمي ونقدي كالذي قام به برجْشتراسر لكتاب ابن جني، أو ابن خالويه. بعبارة أخرى: لم يتم إعادة قراءة المنجَز الإسلامي في التأريخ للقرآن وقراءاته.

ولكن الجانب التوثيقي من مشروع الموسوعة، قفز فوق هذا كله، وسعى إلى تطبيق خطة برجْشتراسر وبْرِتزل وكأنها لم تزل راهنة. إن النقد الشديد الذي تعرض له "النقد النصي" على يد أمثال مك جان"McGann" في الأدب وبرت "Brett" في دراسات الكتاب المقدس وغيرهما[1]، والأطروحات العديدة المتعلقة بآليات وأنماط القوننة "canonization"، ومفاهيم الجماعة المؤوِّلة، ونقد فكرة المؤلف والنص الأصلي "Urtext"، كلُّ هذه النقاشات قد تم تجاوزها وتبني خطة تعود لبدايات القرن العشرين، لا تأخذ في حسبانها التطورات المفاهيمية والمنهجية في هذا الحقل، من مثل فكرة تعدد النصوص الأصلية "Multiple Originals"[2]. بل إنها لم تحاول الاستفادة من مشاريع النقد الكتابي التي بدأت لاحقًا في تطوير منهجية التحقيق والنقد النصي، مثل مشروع شْتوتغارت، أو مشروع الجامعة العبرية.

وعلى الرغم من أهمية هذه النقاشات النظرية، إلا أن مشروع الموسوعة لم يقدم فيها شيئًا يُذكر، وكأن وظيفته تقتصر على تقديم مادة النقد النصي للباحثين، كلٌّ ينجز تحليلَه وتقييمه بحسب منهجه ورؤيته. وعليه فلا معنى هنا للدخول في هذه النقاشات التي لم تزل، للأسف، أجنبيةً عن حقل الدراسات القرآنية في العالم العربي، وفي الغرب كذلك. ولذا سأركز هنا على النظر في المنجَز من الموسوعة ومدى دقته والتزامه بالشروط والضوابط المنهجية في توفير المادة العلمية التي يحتاجها النقد النصي التقليدي.

(أ) مادة التوثيق ومصادره:

ما القدر اللازم من المعلومات والبيانات ليكون أساسًا للنقد النصي؟ وما التفاصيل التي سيعتمد عليها النقد وينبغي تضمينها في قاعدة البيانات؟ وهل القاعدة التي قدمتها الموسوعة صالحة لتكون أساسًا لنقد نصي تاريخي؟

تقدم قاعدة الموسوعة الإلكترونية ثلاثة عناصر أساسية: الحرف القرآني، ومَن قرأ به، والمرجعَ الذي نُقلت عنه تلك القراءة. وتميِّز في التوثيق بين القراءات السبع المتواترة – كما أثبتها الداني في التيسير – وغيرها من القراءات المشهورة أو الشاذة[3].

وبتجريد هذه البيانات تهمل قاعدة الموسوعة مادةً ثريةً توفرها المصادر الأصلية عن السياق التاريخي للقراءات وغير ذلك مما لا غنى عنه في النقد النصي التاريخي. ففي المصادر الأصلية نجد ملاحظات بالغة الأهمية تتصل

(1) Jerome J. McGann, *A critique of modern textual criticism* (Charlottesville Va.: University Press of Virginia, 1992); Mark G. Brett, *Biblical Criticism in Crisis? : the Impact of the Canonical Approach on Old Testament Studies* (Cambridge: Cambridge University Press, 2008).

(2) Gary D. Martin, *Multiple originals: New approaches to Hebrew Bible textual criticism*, Society of biblical literature. Text-critical studies 7 (Leiden, Boston: Brill, 2011).

(٣) تشمل المصادر التي تم استقراؤها ونشرها كتبًا في التفسير (مقاتل، والطبري، وأبو حيان) ومعاني القرآن (أبو عبيدة والأخفش الأوسط) وإعراب القرآن (النحاس) وبعض كتب القراءات (ابن مجاهد، والداني، وابن خالويه)، وهذا عدد محدود جدًّا إذا ما تم الاقتصار عليه، لاسيما فيما يخص استقراء القراءات الشاذة، وشهادات المصاحف.

بأسـانيد القراءات وطُرقها، وكذلك بمواطن القراء، وشـهادات مصاحف الأمصار. وبفقدان هذه البيانات لا يمكننا مثلًا ترتيب ظهور القراءات تاريخيًّا، أو تتبُّع شـجرةِ نسـبِ قراءةٍ ما، ولا معرفة ما إذا ما كانت هناك شـهادات مُصحفية مؤيِّدة لها، ولا الإقليم أو المِصر الذي انتشرت فيه، أو التقليد القرائي الذي تقوم عليه. بل يمكن القول: إن ما فعلته قاعدة البيانات في تجريدها لمصادر التراث، إنما هو تذرير للتطور التاريخي أو لـ"أنساب القراءات والمصاحف" التي يمكن أن توفرها المصادر الأصلية.

يضاف إلى هذا أن القاعدة قد جمعت إلى الاختلافات القرائية، الاختلافات اللهجية أو اللفظية من إمالة وإدغام وتسـهيل ونحوها. وهذه قضية ناقشـها من قبلُ برجْشـتراسر، ومال إلى عدم إدراجها في "التعليق النقدي"؛ لانعدام أو ضعـف صلتها بالنقد النصي، وإن أقـرَّ بفوائد لها تتصل بتطور اللهجـات واللغة العربية. ولكن الموسـوعة قررت إدراجها في قاعدة البيانات دون تمييز لها عن الاختلافات النصية؛ مما سـبب تضخمًا هائلًا، سيجعل من مهمة التقييم النقدي أكثر صعوبة، ولو أنها ميَّزتها عن الاختلافات النصية لكان أنفع وأولى[١].

أما فيما يخص قاعدة المصاحف القديمة، فإن برجْشتراسر وبْرِتزل لم يتعرضا لها في خطتهما، ولم يبينا كيف يمكن التعامـل معها لجهة منهج التوثيق والتأريخ. وإن كان الراجح أن اعتمادهما كان على التحليل الفيلولوجي فقط لتلك الصور. ولكن قاعدة الموسوعة توضح في خطتها أنها ستعتمد التحليل الكربوني للرقوق، كما تبحث تطبيق تقنية جديدة قيدَ التطوير، وهي تحليل الحبر من أجل تحديد تاريخ نسخ المصاحف المتوفرة، وهي طريقة مُشكلة؛ لأنهـا تقتضي إتلاف جزء من النص المكتوب، وهو ما لن توافق عليه معظم المكتبات المالكة للمخطوطات[٢]. ثمَّ إن القائمين بالمشروع قد أسسوا مشروعين موازيين لدعم هذه القاعدة خاصة (Paleocoran, Coranica)، وذلك بالتعاون مع فرنسوا ديروش المتخصص في دراسـة المخطوطات القرآنية، وذلك من أجل التوصل إلى تأريخ وتوصيف دقيق لتطور الرسـم القرآني خلال القرون الأولى من خـلال عدد من المصاحف المحفوظة، مثل: مصحف جامع عمرو بن العاص المحفوظ بباريس، أو مصحف مكناس، وغيرها[٣].

يضـاف إلى هـذا أن القاعـدة تفتقـر إلى سـجل خـاص بشـهادات المصاحف التـي أثبتتهـا المصادر الإسـلامية نفسـها، والتـي جمـع كثـيرًا منهـا أرثـر جيفـري في كتابـه (مصـادر تاريـخ النـص القـرآني)[٤]. عـلى أيـة حـال، فـإن الاسـتفادة الحاليـة مـن هـذه القاعـدة في التعليـق النقـدي عـلى النـص القـرآني محـدودة جـدًّا، وذلـك لمسـائل ذات صلـة بحداثـة تقنيـات التأريـخ والتوصيـف الباليوغـرافي مـن جهـة[٥]، وللجـدل بـين

(١) اتبعت القاعدة في إثبات القراءات نهجًا غريبًا، تكرر فيه بيانات الحرف القرآني، ومن قرأ به مع كل كتاب يتم استقراؤه. ولا تتوفر القاعدة على طريقة يمكن فيها تجميع وإدماج هذه التكرارات، بما يجعل مهمة الباحث شاقة جدًّا. وهنا يتساءل المرء عن جدوى هذا التكشيف الإلكتروني!

(2) "computatio radiocarbonica — Coranica," http://www.coranica.de/computatio-radiocarbonica-de (accessed 24 December 2019).

(3) "Paleocoran," https://paleocoran.eu/ (accessed 24 December 2019).

(4) Arthur E. Jeffery, *Materials for the history of the text of the Qur'an* (NY: AMS, 1975).

(٥) ينبه ديروش في كتابه عن مصاحف الأمويين أن نتائج تقنيات التحليل الكربوني على رغم التقدم الكبير الذي طرأ عليها، إلا أنها ينبغي أن تؤخذ بشيء من الحذر والحيطة، لاسيما هامش الخطأ الزمني المفترض، والذي قد يبلغ ٥٠ سنة زيادة أو نقصًا، فيها مؤثر جدًّا في تقييم التطورات التي طرأت على رسم المصحف في العقود المبكرة من الإسلام. لهذا فإنه لا يرى مناصًا من الاعتماد كذلك البحث الفيلولوجي والباليوغرافي في تأريخ المصاحف.
François Déroche, *Qur'ans of the Umayyads: A first overview*, Leiden studies in Islam and society v. 1 (Leiden, Boston: Brill, 2014), 11-14.

الباحثين الغربيين أنفسهم حول جدوى الاعتماد على الطرق الحديثة، وتجاوز النظريات والمناهج الفيلولوجية التقليدية من جهة أخرى[١]، وكذلك الجدل حول العلاقة بين الكتابي والشفاهي في الثقافة العربية عمومًا، وأثر ذلك على نقل النص القرآني من جهة ثالثة[٢].

(ب) خطة التوثيق، ومؤهلات الموثق:

لا يوضِّح توصيف المشروع الخطةَ العملية التي سيتم بناءً عليها توثيق البيانات الخاصة بالقراءات من حيث إجراءات المراجعة والتدقيق والإشراف، ولا المؤهلات العلمية المطلوبة في الموثِّقين والمشرفين. وهذه العناصر كلها تدخل في صلب المنهج وتقييمه، وليست إطارا تنفيذيًّا هامشيًّا، فعليه تُبنى توقعات الباحثين من حيث الدقة والموثوقية العلمية. وبما أنه لا تتوفر لدينا مثل هذه البيانات في توصيف المشروع، كان لا بد من أخذ عينة من المنجز التوثيقي للكشف عن مدى دقة المادة المنشورة. وقد أخذتُ مثالًا على ذلك كلمة "مالك/ ملك" من سورة الفاتحة[٣].

وبالنظر والمقارنة بين البيانات التي تقدمها قاعدة الموسوعة والمصادر الإسلامية المعتمَدة في التوثيق، فإن حجم الأخطاء الفادحة في التوثيق صادمٌ جدًّا، فهذه الأخطاء تجعل هذه القاعدة – مع كل الجهد الذي بذل فيها للأسف – غير صالحة للاستخدام العلمي[٤]. وتشمل هذه الأخطاء كلاً من: **ضبط لفظ القراءة، وعزو القراءة، وضبط أسماء القراء، كما تشمل أخطاء تتصل بفهم المصادر الأصلية**. وفيما يلي أمثلة على ذلك:

- تم إدراج سبع قراءات لكلمة (مالك/ ملك) كلها غير معزوة عند **الطبري**: مع أن مردها إلى ثلاث فقط: مالِكِ، مالكَ، مَلْكِ. ولا أجد تفسيرًا لذلك.

- في النقل عن **ابن مجاهد**[٥] تمَّ إثبات قراءتين لم يقرأ بهما أحد. وذلك بسبب خطأ في قراءة النص: فابن مجاهد يتحدث عن روايتين عن أبي عمرو: مَلِكِ، ومَلْكِ. أما في القاعدة فقد تم إضافة قراءة أخرى: مِلْكِ، مِلِكِ، وهذا راجع لخطأ في قراءة النص وفهمه. ما لدينا إذن هو: القراءة السبعية المعروفة عن أبي عمرو "مَلِكِ"، ويضاف إليها قراءة أخرى هي "مَلْكِ" رويت من طريقين كما يتبين من نص ابن مجاهد المثبت أدناه:

"حدثني مَدْين بن شعيب عن محمد بن شعيب الجَرْمي، عن أَبي معمر، عن عبد الوارث، عن أَبي عمرو: أنه قرأ: (مَلْكِ) ساكنة اللام. وروى غيره عن عبد الوارث، عن أَبي عمرو: (مِلْك) مكسورة الميم وساكنة اللام. قال أَبو بكر: وهذا من اختلاس أَبي عمرو [الحركةَ] الذي ذُكر أَنه كان يفعله كثيرًا، وهو كقول العرب في كَبِد كَبْد، يسكِّنون وسط الاسم في الضم والكسر استثقالًا".

(1) Michael Marx and Tobias J. Jocham, "Zu den Datierungen von Koranhandschriften durch die 14C-Methode," *Frankfurter Zeitschrift für islamische Theologie* (2015): 9-43.

(2) Gregor Schoeler and James E. Montgomery, *The Oral and the Written in Early Islam*, Routledge Studies in Middle Eastern Literatures 13 (London: Routledge, 2006).

(٣) ثَبْت القراءات مثبت على موقع الموسوعة على العنوان: https://corpuscoranicum.de/lesarten/index/sure/1/vers/4

(٤) لا بد من الإشارة إلى إدارة المشروع لم تزل تشير إلى الموقع باعتباره تحت الإنشاء، وأنه لم يبلغ مرحلة الإصدار النهائي، أي إنه قابل للإصلاح والتعديل.

(٥) أبو بكر أحمد ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠)، ص ١٠٤-١٠٥.

- أما فيما يخص نسبة هذه القراءة لأصحابها، فنجد أن القاعدة تنسبها إلى عبد الوارث وإلى أبي عمرو وإلى مجهول. في حين أن ابن مجاهد كان يشير إلى أنَّ أسانيد تلك الرواية هي عن أبي عمرو، وليس إلى أنَّ عبد الوارث والمجهول قد قرؤوا بها. بعبارة أخرى: هناك اضطراب في نسبة القراءات، وخلط صاحب القراءة بطريقها أو بالسند الذي رويت به.

- في النقل عن **ابن خالويه**: ستُنسب إلى أبي عمرو قراءة أخرى: وهي "مَلْكَ" بفتح الآخر، وهي في المطبوع من نص ابن خالويه غير مضبوطة الآخر. وعلى فرض احتمال النص للفتح والكسر فإن اختيار أحدهما دون دليل غير مبرر، (وقد تم اختيار الكسر عند النقل عن أبي حيان مع أنها هناك أيضا غير مضبوطة كما سيأتي). وهنا تفيدنا الدلائل التي وثَّقتها الكتب الأخرى أن الضبط الصحيح هو الكسر: مَلْكِ[1]. وهذا نص ابن خالويه من النسخة نفسها التي اعتمدتها القاعدة:

"مَلِكَ يوم الدين أبو حيوة شريح. مَلْك عبد الوارث عن أبى عمرو. ومَلَكَ يوم أنس بن مالك فعل ماض"[2].

إذا انتقلنا إلى مصدر آخر وهو **تفسير أبي حيان الأندلسي**[3]، فسنجد الملاحظات الآتية:

- في توثيق قراءة ﴿مالكِ﴾: تذكر قاعدة الموسوعة أن طلحة والزبير قرآ به، مع أن نص أبي حيان، على العكس من ذلك تمامًا: "وهي قراءة العشرة إلا طلحة والزبير"، والمقصود أنها قراءة العشرة المبشرين بالجنة، إلا طلحة والزبير لم يقرآ بها.

- ثم يكمل أبو حيان: "وقراءة كثيرٍ من الصحابة – منهم أُبيّ وابن مسعود ومعاذ وابن عباس – والتابعين، منهم: قتادة والأعمش". هؤلاء كلهم جعلتهم قاعدة الموسوعة أصحابًا لقراءة: مَلِكِ. وهذه أخطاء فادحة في التوثيق تدل على أن من تصدى لهذه المهمة لا يُحسن قراءة العربية وفهم نصوصها.

- في قراءة: مَلِك، تذكر القاعدة: عيسى بن عمر الثقفي، وفي نص أبي حيان: "وأبو الدرداء وابن عمر والمِسْور وكثير من الصحابة". وهذا يعني أن المقصود هنا هو عبد الله بن عمر الصحابي، وليس ما ذكرته القاعدة. وهذا النص كما ورد في البحر المحيط حرفيًّا:

"قرأ مالِك على وزن: فاعل بالخفض عاصم والكسائي وخلف في اختياره ويعقوب، وهي قراءة العشرة إلا «طلحة» و«الزبير»، وقراءة كثير من الصحابة، منهم: أُبيٌّ وابن مسعود و«معاذ» و«ابن عباس»، والتابعين منهم: «قتادة» و«الأعمش»، وقرأ مَلِك على وزن فعل بالخفض باقي السبعة،

(١) وهذا يحيلنا إلى مشكلة منهجية أخرى تتصل باختيار الحرف اللاتيني المعدَّل في إثبات القراءات القرآنية، وهو خيار شاذّ إذا ما تم مقارنته بالتعليقات النقدية على العهد القديم العبري أو العهد الجديد اليوناني، مما أشرنا إليه سابقًا، فكلها يعتمد الأبجدية الأصلية. وتبرير ذلك بأنه لمساعدة الأعجمي على الاستفادة من القاعدة ليس مقنعًا، فذلك متعذر لمن لا يعرف العربية بكل حالٍ. وفضلًا عن هذا فإن لدينا حالات كثيرة كالتي أثبتناها أعلاه، لا يعرف فيها ضبط الكلمة بدقة، فنحتاج إلى إثبات هيكل الكلمة دون ضبط، وهذا يتيحه الحرف العربي دون اللاتيني مثلًا.

(٢) أبو عبد الله الحسين، ابن خالويه، **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**، نشر برجشتراسر، القاهرة: المطبعة الرحمانية، ١٩٣٤، ص ١.

(٣) أثير الدين محمد بن يوسف، أبو حيان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣، ج:١، ص ١٣٣-١٣٦.

وزيد و«أبو الدرداء وابن عمر والمسور وكثير من الصحابة والتابعين، وقرأ «مَلْك» على وزن سَهْل أبو هريرة وعاصم الجحدري ورواها الجعفي".

- ومن اضطرابات التوثيق: أن القاعدة تُثبت قراءة: مَلْكِ، وتضبط آخرها بالكسر، وهي غير مضبوطة في الأصل، في حين أنها ضبطتها عند النقل عن ابن خالويه بالفتح. ومنها أيضًا: أنها نسبت القراءة هنا إلى أبي عمرو فقط، وأهملت ذكر عبد الوارث، على خلاف ما فعلت أعلاه.

- قراءة: ملكِ، بإشباع الكسرة: نُسبت إلى ورش، مع أن نص أبي حيان: "قرأ بها أحمد بن صالح عن ورش عن نافع". فلِمَ لم تنسب إلى نافع، أو أحمد بن صالح، وما معايير نسبة القراءة إذن؟

- أما قراءة: مِلْك على وزن عِجْل، فهي عند أبي حيان منسوبة إلى: "أبو عثمان النهدي، والشعبي، وعطية. ونسبها ابن عطية إلى أبي حياة". هذا النص تحول في قاعدة الموسوعة إلى قراءتين: مِلْكَ ونسبت لابن عطية، وهو ليس من القُرَّاء مطلقًا، ومِلْكِ: نسبت للآخرين.

- ما ينسب في نسخة أبي حيان إلى: أبي حياة، تنسبه القاعدة إلى: أبي حيوة، وهو صحيح كما يشير إليه نص ابن مجاهد، وما جاء في نسخة أبي حيان فهو من خطأ الناشر[1]. ولكن القاعدة لا تتيح الإشارة إلى تصحيح من هذا القبيل!

- وأما قراءة الإمالة البليغة: فقد أُثبتت في نسخة أبي حيان بالرفع: مالكُ، وأثبتت في القاعدة: مالكِ، بالكسر، دون إشارة إلى سبب مخالفة الأصل. وهذا نص أبي حيان، أنقله حرفيًّا كما هو المطبوعة على علّاته:

"وقرأ مَلْكِي بإشباع كسرة الكاف أحمد بن صالح عن ورش عن نافع، وقرأ مِلْك على وزن عجل «أبو عثمان النهدي»، و«الشعبي» و«عطية»، ونسبها ابن عطية إلى «أبي حياة»، وقال صاحب «اللوامح»: قرأ «أنس بن مالك» و«أبو نوفل» عمر بن مسلم بن أبي عدي مَلِكَ يوم الدين بنصب الكاف من غير ألف، وجاء كذلك عن أبي حياة انتهى. وقرأ كذلك إلا أنه رفع الكاف «سعد بن أبي وقاص» و«عائشة» و«مورق العجلي»، وقرأ مَلَكَ فعلًا ماضيًا «أبو حياة» و«أبو حنيفة» و«جبير بن مطعم» و«أبو عاصم عبيد بن عمير الليثي» و«أبو المحشر عاصم بن ميمون الجحدري» فينصبون اليوم. وذكر «ابن عطية» أن هذه قراءة «يحيى بن يعمر» و«الحسن» و«علي بن أبي طالب»، وقرأ «مَالِكَ» بنصب الكاف «الأعمش» و«ابن السميفع» و«عثمان بن أبي سليمان» و«عبد الملك» قاضي «الهند»، وذكر «ابن عطية» أنها قراءة «عمر بن عبد العزيز» و«أبي صالح السمان» و«أبي عبد الملك الشامي»، وروى «ابن أبي عاصم» عن «اليمان» ملكًا بالنصب والتنوين، وقرأ مَالِكٌ برفع الكاف والتنوين «عون العقيلي» ، ورويت عن «خلف بن هشام» و«أبي عبيد» و«أبي حاتم» وبنصب اليوم، وقرأ مَالِكُ يوم بالرفع والإضافة «أبو هريرة» و«أبو حياة» و«عمر بن عبد العزيز» بخلاف عنه، ونسبها صاحب «اللوامح» إلى أبي روح عون بن أبي شداد".

(١) المدقق في نص أبي حيان الذي أثبتناه صورةً يدرك حجم الخلل الذي ألمّ بهذه النشرة، كما في كثيرٍ غيرها، بحيث غدا الاعتماد عليها في موضوع دقيق كإثبات القراءات القرآنية محلَّ نظر.

من البيانات الضرورية التي تفوّتها قاعدة الموسوعة بسبب الخطة التي اعتمدتها[1]:

- الملاحظات النقدية: إن القاعدة بسبب تجريدها للمصادر الأصلية تهمل الملاحظات النقدية للمؤلفين كتعليق ابن مجاهد وأبي حيان على رواية "ملْك"، وأنَّ هذا من اختلاس الحركة الذي عُرف به أبو عمرو، كقول العرب في كَبِد، كَبْد. أي إن ابن مجاهد هنا يحيل هذه القراءة عن أبي عمرو إلى ظاهرة صوتية، وهي ذات قيمةٍ مختلفة في النقد النصي عن الاختلافات النصية.
- الإشارة إلى مصادر القراءات القديمة، والمفقودة غالبًا: مثل كتاب "اللوامح في شواذ القراءات"، لأبي الفضل الرازي (٤٥٤/ ١٠٦٢)، وقد ذكره أبو حيان في تفسيره أكثر من ١٧٠ مرة.
- الإشارة إلى موطن بعض القراء: عبد الملك قاضي الهند (وليس القاضي الهند كما في القاعدة)، وعون العَقيلي (بفتح العين وليس بضمها كما أثبت في القاعدة).
- الإشارة إلى تعدد الروايات عن شخص ما، مثل قوله: "وعمر بن عبد العزيز بخلافٍ عنه".
- تعليقاته النقدية: مثل الحكم على قراءة ملّاك بالشذوذ مثلًا[2].

(جـ) التوثيق النقدي بين أبي حيان الأندلسي وقاعدة الموسوعة:

لقد قدَّم لنا أبو حيان الأندلسي (٧٤٥/ ١٣٤٤) في تفسيره إحصاء وضبطًا لثلاث عشرة قراءة لكلمة ﴿مالك﴾ أو ﴿ملك﴾، ما تواتر منها أو اشتهر أو شذَّ، وكان في عمله دقيقًا جدًّا؛ إذ لم تكشف المقارنة مع المصادر المتقدمة عليه مما وصلنا عن أيِّ خطأ في توثيقه (إذا أغضينا النظر عن أخطاء محققي كتابه). فإذا ما قارنّا مُنجزَه مع قاعدة الموسوعة فسندرك حجم فشلها، ولاسيما في عصر التوثيق الإلكتروني وتوفر المصادر والفِرق البحثية!

بل إن أبا حيان لم يكتف بتوثيق القراءات وسردها، بل أرفقها ببيانات تاريخية وتعليلات لغوية ولهجية لا يمكن إهمالها. فإذا ما أضفنا إلى ذلك ما قام به بعد توثيقه من تحليل لغوي فيلولوجي للدلالات المختلفة لكلمة "الملك"، من خلال الاعتماد على شواهدَ من شعر ما قبل الإسلام، والتنقيب عن المعنى المادي الأولّي لمصدر: المُلك أو المِلك، وهو "الربط" بحسب أبي حيان، بغض النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا مع تحليله، ألا نكون بهذا أمام نموذج تطبيقي لما يسمى بالنقد النصي التاريخي؟! ألم يقدم لنا أبو حيان "تعليقًا نقديًّا" بالحجم والدقة التي تتيحها القدرة البشرية لعالِمٍ فرد؟

(١) إن من ايجابيات اختيار مشروع الموسوعة للنشر الالكتروني أنه يتيح ضم أكبر قدر من المعلومات الضرورية للبحث والنقد النصي، دون قلق من ضيق المساحة والتكلفة المادية للنشر الورقي. فأي مبرر إذن لإهمال بيانات بالغة الأهمية للنقد النصي؟! الغريب أيضًا أن القاعدة تهمل الإشارة إلى رقم المجلد والصفحة في المصادر التي تعتمدها، بما يصعّب مهمة الباحث عند الرغبة في التدقيق.

(٢) اقتصرت هذه الدراسة على الإشارة إلى الخلل المتعلق بضبط قراءات "ملك/ مالك"، وليس هذا على سبيل الترصد واتباع السقطات، ولكن الخلل متكرر في توثيق قراءات أخرى من الفاتحة، ولا يسع المجال هنا لتتبع ذلك واستقصائه، ولكنني أكتفي هنا بإشارة خاطفة إلى مثالين آخرين: تنسب القاعدة إلى ابن مجاهد أنه قرأ "عليهم" على سبعة وجوه، ومصدرهم هو "المحتسب" لابن جني، وابن جني إنما ينقل عن مجاهد توثيقه لهذه القراءات وليس أنه قرأ بها. المثال الثاني: تنسب القاعدة إلى أُبي بن كعب وعمر بن الخطاب قراءة "غيرَ المغضوب عليهم وغيرَ الضالين"، بفتح الراء، أخذًا عن أبي حيان، ولكن أبا حيان يعقب قائلًا: "روي عنهما في الراء في الحرفين النصب والخفض"، وهذه إشارة لم يتم إثباتها في القاعدة. انظر: أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج:١، ص ٠١٥. أبو الفتح عثمان ابن جني، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات**، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٤، ج:١، ص ٤٣-٤٤. https://corpuscoranicum.de/lesarten/index/sure/1/vers/7

الجواب عن هذا قد يكون بالإيجاب والنفي تبَعًا لمفهوم النقد النصي التاريخي. فإذا فهمنا النقد النصي التاريخي، بالمعنى الكلاسيكي الذي انتشر في العصر الرومانسي في أوروبا، فإن أبا حيان لم يقدم نقدًا نصيًّا، وإنما قدم مادةَ النقد النصي. وذلك أن أبا حيان لم يحاكم هذه القراءات إلى معايير نقدية تتيح معرفةَ الشكل الذي أراده المؤلف من هذه الكلمة، أو القراءةَ الأقدم لها على أضعف الإيمان.

ولكن إذا فهمنا النقد النصي التاريخي من منطلق النقاشات المعاصرة التي أخضعت مفهوم المؤلف والنص والجماعة للمراجعة النقدية، فيمكن حينها القول إن أبا حيان، مثلًا، ينطلق من رؤية وتقييم نقدي مختلف. فتعددية الحروف والقراءة جزءٌ مكوِّن من مفهوم النص القرآني بالنسبة له، والحروف المختلفة تكتسب مشروعيتها من مقدار شهرتها وتلقيها بالقبول من قبل الجماعة المؤمنة (أو بتعبير فيش: الجماعة المؤولة[١])، أو بتعبير أبي حيان: "ما أتى بأثرٍ مستفيض"[٢]. وهو لا يخْرِجُ من دائرة المقبول إلا تلك الحروف التي لم تحظ بقبولٍ كافٍ، ولم يَثبت بها تقليدٌ؛ فإنها حينئذ تُنسب إلى الشذوذ ويُمنع التعبد بها، وإن بقيت شاهدًا تاريخيًّا لا يمكن نفيه جزمًا أو إهمال ذكره. وعليه يمكن القول: إن أبا حيان قد قدم لنا تعليقًا نقديًّا وثَّق فيه تاريخ تفاعل الجماعة المؤمنة مع النص القرآني بمراحله المختلفة ودرجات انتشاره المتواترة والمشهورة والشاذة[٣].

٢. التقييم النقدي للتوثيقات النصية:

دعونا نفترض الآن أننا استطعنا تكوين قاعدة بيانات بالغة الدقة ومتكاملة، سواءٌ للقراءات القرآنية أم لمخطوطات المصاحف والنصوص الدينية والثقافية المحيطة بها، فما التصور المنهجي لعملية التقييم النقدي التاريخي الذي ينبغي أن ننجزه؟ لم تقدم الموسوعة تصورًا لذلك، وحتى برجْشتراسر حين وصل إلى هذه النقطة من خطته أحال فيها إلى دراسته لقراءة الحسن البصري ومنهجه فيها[٤]. وبمراجعة ما قام به، وبما قامت به نويفرت مثلاً، يتبين لنا أن قضية التقييم النقدي التاريخي التي دائمًا ما توصف بالعلمية، ما هي إلا عملية تأويلية تخضع لأُطرٍ تفسيرية وخيارات منهجية تختلف فيها الأنظار وتتعدد، وهي في المحصلة لا تختلف كثيرًا عن المعايير التي اعتمدها القدماء في الترجيح بين القراءات.

مالك أم ملك ؟

دعونا نتناول مثالًا على ذلك نفس كلمة: مالك/ ملك. التي عرضنا لها آنفًا. ما التقييمات النقدية الممكنة لها؟

- **التقييم التقليدي عند المسلمين**: قَبِل جمهور المسلمين بقرآنية القراءتين وأنهما ثابتتان بطرق متواترة. ثم اختلف

(1) Stanley E. Fish, *Is There a Text in This Class? The Authority of Interpretive Communities*, 12th ed. (Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press, 2003).

(٢) في هذا السياق يحسن الرجوع إلى النظريات المختلفة التي تناقش مفهوم "الأصل المتعدد" أو أصالة التعدد، وكذلك فكرة الجماعة المؤمنة ومرجعيتها في ضبط النص وقوننته. انظر:
Martin, *Multiple originals*, 7; Brett, *Biblical Criticism in Crisis? : the Impact of the Canonical Approach on Old Testament Studies*.

(٣) هذا التوصيف لا يعني بطبيعة الحال أن عمل أبي حيان كامل ولا مزيد عليه، كما يعتذر بعض المسلمين (بأننا كُفينا مؤونة التدقيق)، أو أنه يجيب عن كل التساؤلات التي تدور في خلد الباحث في تاريخ القراءات. وهذا ما يدفعنا للنظر في منهج التقييم النقدي للوثائق النصية المثبتة.

(4) Gotthelf Bergsträsser, *Die Koranlesung des Hasan von Basra* (Lipsiae: In aedibus quae Asia Major appelantur, 1926), 11-57.

القُـرَّاء والمفسرون في اختياراتهم وترجيحاتهم. والمعايير التي بنوا عليهـا هذه الاختيارات أو الترجيحات تتعدد، فمنهم من سـأل: كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الكلمة في صلاته اليومية؟ وهنا جاءت الروايات متعددة ومتعارضة، فروايات أيَّدت قراءةَ "مالك" وأخرى قراءة "ملك". وقد قدم عطية الكشـكي دراسـة جيدة لهذه الروايات، فلا نطيل التعليق عليها[١]. ومنهم من اعتمد معايير تأويلية محضة تتصل بموقع الآية من السـورة وسـياقها الدلالي. ومنهم من اعتمد على دلائل الشـواهد القرآنية، أو على أسباب لغوية بحتة، أو عوامل لها صلة بالانتشـار الجغرافي للقراءة: فالبعض مثلا فضَّل قراءة الحرمين باعتبارها أقـرب لموطن النزول. أما بعضهم فقد رفض قراءة "ملك"؛ لأنه شـك بوجود دوافع سياسية خلف اشـتهارها، وذاك اعتمادًا على رواية في سنن أبي داود عن معمر: أن أول من قرأها "ملك" مروان بن الحكم الخليفة الأموي، وإليه تشـير رواية أخرى عن أحمد أنه قال: القـراءة القديمة هي "مالك". ومن العلماء من احتجَّ برسـم المصحف الإمام، فأبو عـلي الفارسي رجَّح "مالك" بألف، لأنه موافق لرسـم المصحف الإمام، في حين أن صاحب المباني ذكر أنه اعتمادًا على الرسم نفسه فإن آخرين رجحوا "ملك".

- **تقييـم نويفـرت**: تميل نويفرت في تفسـيرها إلى ترجيح قراءة "ملك" بغير ألف. وتسـتند في ذلـك إلى النموذج التفسيري والافتراضات المنهجية التي اعتمدتها أساسًا لتفسيرها. ولكنها أيدت رأيها بإحدى المخطوطات القديمة للمصحـف التي كُتبت فيها "ملك" بغير ألـف[٢]، مع تأكيدها على أن هذه دلالة ظنية غـير قاطعةٍ بخطأ القراءة الأخرى أو تأخرها[٣].

وتستند نويفرت في تفسـيرها إلى تحليل الشكل الأدبي للسورة القرآنية باعتباره وحدة دلالية متماسكة ذات وظيفة اجتماعية دينية "Sitz im Leben"، ثم مقارنته بالأشـكال الأدبية الشـبيهة من قبيل النصوص الكتابية السابقة أو أشعار العرب قبل الإسلام[٤].

أما فيما يخص سـورة الفاتحة: فإن نويفرت تخلص إلى أن للسورة وضعية خاصة، فهي صلاةٌ ذاتُ وظيفة شعائرية يومية، تتضمن تسبيحًا لله وتمجيدًا ودعاءً، وهي بهذا تشبه في وظيفتها وبنيتها التراتيلَ المسيحية، وبخاصة ما يعرف بالصـلاة الربانية (أبونا الذي في السـماوات)، التي ترتل عادة في الكنائس فجر يـوم الأحد. وتفصِّل نويفرت في مقارنتها وجوهَ التماثل والتمايز بين النصين بما لا مجال لذكره الآن[٥].

(١) عطية الكشكي، **قراءات النبي صلى الله عليه وسلم: دراسة قرآنية حديثية**، الرياض: جامعة الملك سعود، ٢٠١١، ص ١-١١.

(٢) وهي إحدى مخطوطات صنعاء: https://corpuscoranicum.de/handschriften/index/sure/1/vers/1?handschrift=114

(٣) وقد أهملت نيوفرت الإشارة إلى المخطوط في كتابها، وبقيت في موقع الموسوعة، انظر:
Angelika Neuwirth, *Der Koran. das neue Gottesvolk: "Biblisierung" des altarabischen Weltbildes Band 1/2* (Berlin: Verlag der Weltreligionen, 2017), 85-102; https://corpuscoranicum.de/kommentar/index/sure/1/vers/4

(4) eadem, *Der Koran als Text der Spätantike: Ein europäischer Zugang*, 1st ed. (Berlin: Verlag der Weltreligionen, 2010), 276-327; 369-393.

(5) Angelika Neuwirth and Karl Neuwirth, "Sūrat al-Fātiha - 'Eröffnung' des Text-Corpus Koran oder 'Introitus' der Gebetsliturgie," in *Text, Methode und Grammatik*, ed. Walter Gross, Hubert Irsigler, Theodor Seidl, and Wolfgang Richter (St. Ottilien: EOS Verlag, 1991), 331-57.

ولكــن فيما يخص تقييمها لكلمة: ملك/ مالك. فإنها ترجِّح – بالاســتناد إلى هذا المقارنة – قراءة "ملك"؛ ذلك أن نص الصلاة المسيحية يتحدث عن ملكوت الله[١]، والقرآن يريد بذكره كلمة الــمُلك أن يحيل المتلقي إلى مفاهيم دينية مشتركة مع المسيحية، ولكنه يضعها في سياق جديد، ويقدِّم لها تأويلًا جديدًا.

لا بد مــن التأكيد هنا على أن نويفــرت تبدو، كما توضح في ثنايــا مقالاتها، واعيةً بالطبيعــة التأويلية لاختيارها واحتجاجهــا النقدي. لذا فهي لا تدَّعي أنها بهذا تقدم نقــدًا تاريخيًّا علميًّا بالمعنى التقليدي للكلمة؛ بقدر ما تقدم مساهمة تأويلية.

– **اقتراح نقدي**: اختارت نويفــرت بعض النصوص الموازية التي أوردتها القاعدة وبنــت عليها تأويلها، ولكن إذا ما رجعنا إلى تلك النصوص الموازية التي تم اســتقراؤها حتى الآن، فســنجد نصًّا من كتــاب اخنوخ (إدريس) المعترف به من قبل الكنسية الاثيوبية، يتحدث عن الله كـ"مالك للحكم/ القضاء/ الدين"[٢]، وإذا ما أضفنا لذلك مثلًا العبــارة التي تتكرر بكثرة في كتاب الصابئة المندائيين "الجنزا" من القرن الثاني/ الثالث الميلادي، وهي: مالك الملك[٣]؛ فيمكننا الانتهاء إلى:

أنَّ التراث الديني الســابق زمنيًّا الإسلامَ قد عرف الله: مَلِكًا، كما عرفه مالكًا للحكم والقضاء (له الحكم والأمر). وعليه يمكننا أن نقترح مقاربة أخرى لقضية تعدد الحروف والقراءات؛ باعتبارها مقصدًا أصليًّا في النص القرآني، لجهة إرادته لفتَ نظر المتلقي إلى إرث المفاهيم الدينية المشترك الذي تحيل إليه هذه الحروف والقراءات. بهذا المعنى لا تبقى تعددية القراءات مشــكلة أمام الباحث النقدي يســعى لتجاوزها بحثًا عن الأصل الواحد، وإنما تصبح مهمته فهم البواعث والخلفيات الدينية والتاريخية واللغوية التي تحيل إليها تلك القراءات المتعددة.

الصراط المستقيم:

وقبــل الختام أود الإلمــاح إلى نموذج يُظهر أثرَ الإطار التفســيري الكامن في توجيه التقييــمات النقدية لباحث مثل برجْشتراسر، في تحليله لقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

يذكر برجْشتراسر أن الحســن البصري قد قرأها: اهدنا صراطًا مستقيمًا، ويرجِّح أنَّ هذه هي القراءة الأصلية الأولى التــي قرأ بها النبي. أما القراءة بـــ(ال) التعريف المثبتة في المصحف العثماني، فهي تفترض وتحيل إلى تطورٍ حصل لمفهوم "الصراط المســتقيم" بعد أن استقر وأصبح له إحالة ثابتة معروفة، ولا يستبعد أن تكون هذه القراءة المعرَّفة كذلك قراءة للنبي نفسه[٤].

(١) ونصها: "أبانا الذي في السماوات. ليتقدس اسمك. ليأتِ ملكوتك" كما جاءت في سفر متى: ٦: ٩-١٠، وكذا ما جاء في سفر يوحنا: ١٥:١١-١٩. كما تشير نيوفرت إلى الأيقونات الشائعة للملك المتربع على عرشه، رمزًا إلى المسيح عند عودته يومَ الحساب، كما في سفر متى ٢٥:٣١: "وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ". انظر:

https://corpuscoranicum.de/kontexte/index/sure/1/vers/4/intertext/409
https://corpuscoranicum.de/kontexte/index/sure/1/vers/4/intertext/1167

(٢) انظر: https://corpuscoranicum.de/kontexte/index/sure/1/vers/4/intertext/908

(3) Lidzbarski, Mark, *Ginzā: der Schatz oder das grosse Buch der Mandäer* (Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1925).

(4) Bergsträsser, *Die Koranlesung des Hasan von Basra*, 20.

هذا التقييم النقدي المقدَّم قد يبدو أول وهلة معقولًا؛ لأنه يحيل إلى نموذج تفسيري يستند إلى فكرة التقدم من البسيط إلى المركب، ومن المجهول إلى المعلوم. فملامح "الصراط المستقيم" لم تكن واضحة بعدُ في مبدأ البعثة، ولكنها تشكلت واتضحت مع الزمن، وعليه فإن الانتقال من التنكير إلى التعريف يصبح مفهومًا في إطار هذا النموذج التفسيري.

والمشكلة هنا ليست في صحة هذا التفسير، وإنما في البداهة التي اكتسبها في البحث الحديث، بحيث أصبح لا يرى الكثيرون داعيًا لإخضاعه للمراجعة النقدية. فإذا ما ذكرنا مثلًا أن هناك آيات مكية أخرى تنتمي لنفس الفترة الزمنية التي نزلت فيها سورة الفاتحة، ورد فيها تعبير "الصراط المستقيم" معرفا بـ(ال)، في حين أن هناك آيات مدنية متأخرة جاء فيها التعبير منكَّرًا، فإن نموذج التقدم المطروح يفقد قدرته التفسيرية، ويعيدنا إلى النقطة الأولى: أيهما كانت القراءة الأولى أو الأصلية أو الأقدم؟ ثم إن مشكلة هذا النموذج التفسيري المفترض لفكرة التقدم، تمتد لتشمل الدراسة الخاصة بالبحث عن الترتيب التاريخي للسور القرآنية، ولكن تلك قضية أخرى.

٣. النصوص الثقافية والدينية الموازية:

ترى نويفرت – كما تبين خطة المشروع – أن النص القرآني كان في أجزاء كبيرة منه اشتباكًا نقديًّا وحوارًا جديًّا مع المفاهيم الدينية والثقافية التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية وما حولها. وأننا لا غنى لنا في فهم القرآن عن النظر في هذه المفاهيم والنصوص، ومقارنتها بالنص القرآني، وفهم التحولات والتغييرات التي يقترحها القرآن تأويلًا أو نقدًا أو تبنّيًا. من هذا المنظور ينتقد المشروع بشدة الإطار التأويلي للمقاربات الاستشراقية الكلاسيكية التي كانت ترى في هذه النصوص مصادرَ اعتمد عليها النبي أو الجماعة المؤمنة في تكوين القرآن وتأليفه. ويعد هذا الاتجاه في البحث تقدُّمًا كبيرًا في فهم أصالة النص القرآني وتاريخه، وهو متساوق مع عدد من الاتجاهات الحديثة في دراسة الكتب المقدسة[١].

بناء على هذا تقوم هذه القاعدة على استقراء النصوص القديمة في لغاتها الأصلية، وهي: العربية الجنوبية القديمة والحبشية والسريانية والعبرية واليونانية، بحثًا عن الأفكار والمفاهيم التي يمكن أن يوجد لها صدى في النص القرآني. وهي بذلك تستند إلى افتراض مفاده أن هذه النصوص المكتوبة وإن لم تكن متوفرة في الجزيرة العربية فجر الإسلام، إلا أنها كانت منبثَّة في الثقافة الشفاهية، وأدبيات أواخر العصور القديمة التي كانت منبثَّة في المحيط الثقافي للقرآن[٢].

يستعين القائمون على الموسوعة في استخلاص النصوص الموزاية على كتابات المستشرقين القدامى مثل: هوروفِتز (بحوث قرآنية[٣]) وشباير (القصص الكتابية في القرآن[٤]) وغيرهما، إضافة إلى استقرائهم الخاص للأدبيات السريانية

(١) على أنَّ بعض المستشرقين لم يزل مصرًّا على إعادة إنتاج أصوليات الاستشراق العتيقة، من خلال نسخ رديئة غالبًا، أو من خلال تطوير وتعديل الاتجاه النقدي الجذري الذي اختطه وانسبرو في سبعينيات القرن الماضي.

(٢) يقوم هذه الافتراض على نقد الفرضية الشائعة عن الجزيرة العربية قبيل الإسلام، باعتبارها موطن أمة جاهلية معزولة عن العالم ثقافيًّا ودينيًّا. وهو يستند إلى دراسات تاريخية وأركيولوجية تثبت الارتباط الثقافي والديني الوثيق بين الجزيرة العربية ومحيطها الجغرافي في أواخر العصور القديمة. على أن صحة هذا الافتراض جملةً لا يقتضي دقته على مستوى الجزئيات؛ إذ تعوزنا الوثائق الكافية لإثبات أن مفهومًا أو تقليدًا حبشيًّا معينًا، مثلًا، كان معروفًا في الجزيرة العربية، وأن القرآن قد قصده بالذات عند الإشارة إليه. وهذه ملاحظة قد أدركتها نيوفرت، وأشارت إليها مرارًا من خلال إقرارها بالطبيعة الاجتهادية الظنية لهذه البحوث. وهذا يعد تحولًا مهمًّا عن الرطانة العلمية للخطاب الاستشراقي التقليدية، وإن لم تزل تلك الرطانة العلمية شائعة في الخطاب العام ووسائل الإعلام.

(3) Josef Horovitz, *Koranische Untersuchungen*, Studien zur Geschichte und Kultur des islamischen Orients 4 (Berlin: De Gruyter, 1926).

(4) Heinrich Speyer, *Die biblischen Erzählungen im Qoran*, 1st ed. (Hildesheim: Olms, 1961).

مثل كتابات: يعقوب السروجي وأفرام السرياني، وغيرها من الأدبيات الحبشية والنصوص اليهودية والمسيحية غير القانونية. وهذا يعني أن المادة التي تقدمها هذه القاعدة، هي المادة ذاتها التي اعتمدها المستشرقون التقليديون في بحثوهم القائمة على نفي أصالة النص القرآني، واعتباره كُناشًا لنصوص دينية سابقة عليه، ولكنها هنا مادةٌ منقَّحة ومزيدة، ويفترض أن هناك تغييرًا في نموذجها التفسيري وإطارها التأويلي[١].

وفي هذا السياق لا بد من ملاحظتين:

الأولى: الطبيعة التأويلية المركبة لهذا الضرب من البحوث، ذلك أنها تقوم على فهم أوليٍّ يفترضه الباحث للكلمة أو الموضوع القرآني، وكذا على فهم أوليٍّ للنص الموازي من اللغات الأخرى، ثم على علاقة مفترضة بين النصين. فإذا ما أضفنا إلى ذلك أن محرر هذه النصوص غالبًا ما يكون متخصصًا في واحد من هذين التراثين دون الآخر، فينبغي حينها أن نفهم هذه المقارنات على أنها إشارات ظنية، بل كثيرًا ما تكون تخمينية، لعلاقات محتملة بين النصوص، ينبغي التحقق منها بالدرس والمقارنة.

الثانية: إن المقارنة بين النصوص والمرجعيات الكتابية تميل إلى إهمال التفسير والتلقي التقليدي لهذه النصوص، وهو عنصر لا يمكن إغفاله، ولاسيما في سياق دراسة تبتغي إعادة بناء المحيط الثقافي والديني الذي ظهر فيه القرآن. والمقصود هنا هو تلك القصص والروايات الكتابية التي رواها المسلمون منذ القرون الأولى للإسلام عن اليهود والنصارى وغيرهم. وفي هذا السياق فإن الدراسات الإسلامية في العالم العربي تعاني من فقر كبير في دراسة تاريخ تفاعل المسلمين الأوائل مع الثقافات والأديان المحيطة بهم، والتي غالبًا ما أصبحت تدرس تحت عنوان الإسرائيليات أو الدخيل.

خاتمة

إن الحدود المتخيلة التي فرضتها حالة الصدام بين الشرق والغرب علميًّا وسياسيًّا خلال القرنين الأخيرين، قد انعكست على التصورات والمفاهيم التحليلية للباحثين المسلمين والغربيين على حد سواء. فالمسلمون يسكنون على ضفة التراث والتقليد والفهم الإيماني، وعلى الضفة الأخرى يقدم الغربيون دراسات تقوم على نقد نصي تاريخي هو نتاج التقدم العلمي الغربي، ونتاج جرأة الغربي على الفصل بين الإيماني والأكاديمي العلمي. لذا كثيرًا ما نجد البعض، لاسيما في الغرب، يسأل، هل يقبل المسلمون أن يخضع القرآن لمعايير النقد النصي التاريخي؟ مفترضين أن هذا النوع من النقد لم يُمارس من قبلُ في تاريخ المسلمين. هنا قد يردُّ بعض المسلمين بصرامة قاطعة: بل قد كان لدينا نقد تاريخي أشد صرامة مما يقترحه الغربيون[٢].

والحقيقة أن النقد النصي لم يعد يُنظر إليه باعتباره علمًا مقدسًا، فقد غدا بحثًا نسبيًا يقوم على التوثيق والتدقيق من جهة، والتأويل من جهة أخرى. وهو في كل ذلك لا يمتلك أدوات وخطوات موحَّدة، بل

(١) وعلى الرغم من إيجابية هذا التغير وتمشيه مع المقاربات الحديثة إلا أنه لا يمنع من استثمار هذه القاعدة من قبل الأصوليين من أتباع نظريات النقد الجذري.

(٢) انظر مثلاً:

Muhammad M. A'zami, *The History of the Qur'anic Text : from Revelation to Compilation : a Comparative Study with the Old and New Testaments* (Puchong, Selangor: Co-publishers : IBT, Azami publ, 2011).

يستنبط أدواته وملاحظاته بعد استقراء طويل ومُجهد للحقل الذي يشتغل فيه. فأدوات النقد النصي التي تطبق على نصوص شكسبير تختلف كثيرًا عن تلك التي تطبق على العهد القديم أو الجديد.

كما أنه ليس لدينا حتى اليوم تقييم نقدي شامل للمنجز الإسلامي ومناهج المتقدمين في توثيق القراءات والمصاحف وتاريخها، على الرغم من نشر الكثير من كنوز هذا التراث خلال العقود الأخيرة سواءٌ القديم منها والمتأخر. فكيف سيتنسى لنا أن نبني نقدا نصيًّا على مصادر لم تخضع هي نفسها للتدقيق والتحقيق، ولم ننظر في تطورها التاريخي؟!

إن مشروعًا يوثِّق التطور التاريخي للقراءات والمصاحف، ويكشف الآليات التي اكتسبت بها بعض القراءات التواتر في حين هُمِّشت أخرى لتُعدَّ شاذة، وكذا العلاقة بين التأويل والقراءة؛ إن مشروعًا كهذا لهو عمل بالغ الأهمية في فهم تاريخ القرآن والعلوم القرآنية. وهو لأجل ذلك يحتاج لأن ينجز بقدر كبير من الدقة، والصرامة المنهجية من قبل مختصين متمرسين في هذا الحقل، وليس من قبل طلاب متدربين[1].

وحينما نقارن الدقة والصرامة المنهجية التي تُتَّبع في إنجاز العهد القديم في الجامعة العبرية على مدى عقود طويلة، فإننا ندرك أن مشروع الموسوعة في جزئه التوثيقي، (ذلك أن القسم التأويلي الذي تقوم عليه أنجيلكا نويفرت له قيمة خاصة، وهو حريٌّ بدراسة نقدية خاصة) إذا لم يصحح منهجيته العلمية فإنه سيكون كارثة بمعايير النقد النصي الغربي نفسه، وسيزيد من عمق الحدود الوهمية المتخيَّلة بين البحث الإسلامي والبحث الغربي، وسيكون مصدرًا لعفاريت لا تحصى.

(١) عمل فريق من الباحثين التونسيين تحت إشراف عبد المجيد الشرفي سنوات عديدة في كشاف للقراءات القرآنية المتواتر منها والشاذ، وكذا لشهادات المصاحف، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول والآيات المتكررة في القرآن. وهو عمل يراد منه أن يضاهي عمل الموسوعة القرآنية الألمانية وتمكين القارئ المعاصر والباحث من "مادة خام يعسر عليه بمفرده الاطلاع عليها واستغلالها إن لم يكن مختصًّا". وهي ستساهم في تحرير الدراسات القرآنية من "ربقة المواقف الماقبلية"، وفي تقديم "مادة معرفية متعددة المناحي، التاريخي منها، والإناسي، واللساني، والأسلوبي، والمقارن، وغيرها. وما هذا العمل إلا إسهام في توضيح عناصر الرؤية الموضوعية، التي لا يمكن للمؤمن ولغير المؤمن أن يتغاضيا عنها".

وهذا المشروع التونسي يتفوق على المشروع الألماني من حيث الضبط ودقة التوثيق، إلا أنه لا يجدي نفعًا لا في إعداد تعليق نقدي على القرآن، ولا في فهم التطور التاريخي للقراءات والمصاحف، وهو على أية حال بحاجة لوقفة مستقلة. انظر:

عبد المجيد الشرفي وآخرون، **المصحف وقراءاته**، الرباط وبيروت: مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٦، ج:١، ص ٧. والكتاب نشر في ٥ مجلدات.

والطريف أن الكتاب قد تُلقي في ألمانيا على نحو مماثل لما حصل مع مشروع الموسوعة الألماني، وذلك على أنه يحمل مشروعًا يقدم نسخة نقدية غير مسبوقة للقرآن، وبذلك فهو يقدم مادة متفجرة. انظر:

Annette Steinich, "Historisch-kritische Ausgabe rückt den Koran in ein neues Licht: Dieses Buch birgt Sprengstoff - Qantara.de," https://de.qantara.de/node/30743 (accessed 24 December 2019).

المصادر والمراجع

أولًا- المصادر والمراجع العربية:

- ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات**، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٤).
- أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣).
- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين، **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**، نشر برجشتراسر، (القاهرة: المطبعة الرحمانية، ١٩٣٤).
- الشرفي، عبد المجيد وآخرون، **المصحف وقراءاته**، (الرباط وبيروت: مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٦).
- القط، طارق، هل يعد القرآن جزءًا من العصور القديمة المتأخرة لأوربا؟ قراءة في الاستشراق الألماني، **مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية**، ٢٠١٨، المجلد ٣٥، العدد ٢، جامعة قطر، ١٠١-١٣٤. (doi.org/10.29117/jcsis.2018.0187).
- الكشكي، عطية، **قراءات النبي صلى الله عليه وسلم: دراسة قرآنية حديثية**، (الرياض: جامعة الملك سعود، ٢٠١١).
- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد، **السبعة في القراءات**، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠).

ثانيًا- المصادر والمراجع الأجنبية:

References

- A'zami, Muhammad M., *The History of the Qur'anic Text: from Revelation to Compilation: a Comparative Study with the Old and New Testaments* (Puchong, Selangor: Co-publishers: IBT, Azami publ, 2011).
- Bergsträsser, Gotthelf , *Die Koranlesung des Hasan von Basra* (Lipsiae: In aedibus quae Asia Major appelantur, 1926).
- Bergsträsser, Gotthelf, *Plan einer Apparatus criticus zum Koran* (München: Verl. der Bayerischen Akademie der Wissenschaften, 1930).
- Boyarin, Daniel, *Border lines: The partition of Judaeo-Christianity*, Divinations: rereading late ancient religion (Philadelphia, Pa.: University of Pennsylvania Press, 2004).
- Brett, Mark G., *Biblical Criticism in Crisis: The Impact of the Canonical Approach on Old Testament Studies* (Cambridge: Cambridge University Press, 2008).
- Déroche, François, *Qur'ans of the Umayyads: A first overview*, Leiden studies in Islam and society v. 1 (Leiden, Boston: Brill, 2014).
- Hendel, Ronald, "The Idea of a Critical Edition of the Hebrew Bible: a Genealogy," *Hebrew Bible and Ancient Israel* 3 (2014): 392-423.
- Hendel, Ronald, "The Oxford Hebrew Bible: Prologue to a New Critical Edition," *Vetus Testamentum* 58 (2008): 324-51.
- Ibn Jinni, *al-Muhtasib fi tabyyin wujuh shawadh al-Qiraat*, ed. Ali al-Najdi Nasif et al, (*in Arabic*), (Cairo: al-Majlis al-Ala li al Shuun al-Islammiyyah, 1994).
- Ibn Mujahid, *al-Saba fi al-Qiraat*, ed. Shawqi Dayaf, (*in Arabic*), (Cairo: Dar al-Maarif, 1980).
- Jeffery, Arthur E., *Materials for the history of the text of the Qur'an: The old codices* (NY: AMS, 1975).
- Leaman, Oliver, "The Corpus Coranicum Project and the Issue of Novelty," *Journal of Qur'anic Studies* 15 (2013): 142-48.

- Lidzbarski, Mark, *Ginzā: der Schatz oder das grosse Buch der Mandäer* (Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1925).
- Martin, Gary D., *Multiple originals: New approaches to Hebrew Bible textual criticism*, Society of biblical literature. Text-critical studies 7 (Leiden, Boston: Brill, 2011).
- Marx, Michael and Jocham, Tobias J., "Zu den Datierungen von Koranhandschriften durch die 14C-Methode," *Frankfurter Zeitschrift für islamische Theologie* (2015): 9-43.
- Marx, Michael, "Europa, Islam und Koran: Zu einigen Elementen der gegenwärtigen gesellschaftlichen Debatte," in *Gehört der Islam zu Deutschland? Fakten und Analysen zu einem Meinungsstreit*, ed. Klaus Spenlen, Vortragsreihe der IIK-Abendakademie 2 (Düsseldorf: Düsseldorf University Press (dup), 2013), 61-98.
- Marx, Michael, "The Koran according to Agfa: Gotthelf Bergsträssers Archiv der Koranhandschriften," *Trajekte* 19 (2009): 25-29.
- McGann, Jerome J., *A critique of modern textual criticism* (Charlottesville Va.: University Press of Virginia, 1992).
- Neuwirth, Angelika and Neuwirth, Karl, "Sūrat al-Fātiha - ‚Eröffnung' des Text-Corpus Koran oder ‚Introitus' der Gebetsliturgie," in *Text, Methode und Grammatik*, ed. Walter Gross, Hubert Irsigler, Theodor Seidl, and Wolfgang Richter (St. Ottilien: EOS Verlag, 1991), 331-57.
- Neuwirth, Angelika, *Der Koran als Text der Spätantike: Ein europäischer Zugang*, 1st ed. (Berlin: Verlag der Weltreligionen, 2010).
- Neuwirth, Angelika, *Der Koran. das neue Gottesvolk: "Biblisierung" des altarabischen Weltbildes Band 2/1* (Berlin: Verlag der Weltreligionen, 2017).
- Neuwirth, Angelika, *Studien zur Komposition der mekkanischen Suren: Die literarische Form des Koran - ein Zeugnis seiner Historizität*, 2nd ed. (Berlin, New York: De Gruyter, 2007).
- Pretzl, Otto, *Die Fortfhrung des Apparatus Criticus zum Koran* (München: Bayerischen Akademie der Wissenschaften, 1934).
- Schirrmacher, Frank, "Bücher können Berge versetzen," *Frankfurter Allgemeine Zeitung*, 10 October 2007.
- Schoeler, Gregor and Montgomery, James E., *The Oral and the Written in Early Islam*, Routledge Studies in Middle Eastern Literatures 13 (London: Routledge, 2006).
- Segal, Michael, "Methodological Considerations in the Preparation of an Edition of the Hebrew Bible," in *The text of the Hebrew Bible and its editions: Studies in celebration of the fifth centennial of the complutensian polyglot*, ed. Andrés Piquer Otero and Pablo A. Torijano (Leiden, Boston: Brill, 2017), 34-55.